

## أدباؤنا والمسرح

للأستاذ دريني خشبة



أخذنا على مجلاتنا المتنازة ، في كلمة سابقة ، انقطاع الصلة بينها وبين الفنون المصرية الحديثة ، وأكبر مظاهرها المسرح والسینما والغناء والموسیقا ؛ وزید فی هذه الكلمة بحث الملل التي تصرف كبار أدبائنا عن التأليف أو محاولة التأليف ، للمسرح المصري

والملاحظ في مصر اليوم تلك الحركة الطيبة في كتابة القصة ، وإقبال القراء على القصة المصرية ذلك الإقبال الكبير المشجع الذي أوشك أن يكون منافساً خطراً لقراء القصة المترجمه . ولدينا والله الحمد عدد لا بأس به من كتاب القصة المصرية الشائعة التي لا تقل رونقاً ولا بهاءً عن القصة الأجنبية وإن لم تبلغ مراتبها بعد في الطول ولا في التماسك ولا في الصبر على معالجة الأدواء الاجتماعية ... ولا بأس من أن نسجل هنا أن جل كتابنا ، إن لم يكن كلهم ، أميل إلى كتابة الأقصومة منهم إلى تأليف القصة ، وقد بلغ بعضهم في ذلك حد الكمال ، وهو ما يفخر به الأدب المصري الحديث

وقد يحار الإنسان في انصراف أدبائنا هؤلاء عن التأليف المسرحي ، وإمداد المسرح المصري بما يفتقر إليه من المسرحيات التي تساعد في شق طريقه بين مسارح العالم الناجحة المحترمة . ولعلنا سائرون في نهضتنا الأدبية الحديثة في مثل الطريق التي سار فيها الأدب الإنجليزي خاصة والآداب الأوروبية على العموم ؛ فلقد لاحظ مؤرخو الأدب الإنجليزي أنه لم يتفق أن ازدهرت القصة إلى جانب ازدهار الدراما في عصر ما من عصور هذا الأدب ، ففي عصر إليزابيث مثلاً كانت الدراما هي التي تحتل المقام الأول في إنجلترا ، بينما كانت القصة متخلفة نوعاً ما . أما في مصر الفكتوري ، فقد حدث العكس ، إذ ازدهر أدب القصة ، وغاض أو كاد أن يفيض الأدب المسرحي ، حتى رد إليه برناردشو وسير جيمس بازي ، وطائفة أخرى من الكتاب

المسرحيين شبابه الذي ولي ، ويتنبأ بعض مؤرخي هذا الأدب أن نهضة التأليف المسرحي الحديثة التي بدأها شو ونفخ فيها باري رجول ورثي وموجهام وكوارد ، ومن إليهم دورة من هذه الدورات في تاريخ الدراما والقصة ، تلك الدورات التي تجرى إحداها في إثر سابقتها حتى إذا حلت محلها لم تلبث أن تحل لها الطريق ردها من الزمن لتعود إلى مسرح الحياة مرة أخرى ، وهكذا دواليك ... وبمللون ذلك بروح العصر أولاً ، وبما كان من تحريم التمثيل وإغلاق جميع المسارح الإنجليزية خلال الحروب الأهلية ثانياً ؛ لكنهم لم يملوه قط بكسل الأدباء ، أو تكاسلهم ، أو ازدهارهم للمسرح كما يخيل للإنسان أن يملل كساد الإنتاج المسرحي عندنا ، وتراخي كبار الكتاب في مصر في مد المسرح بما هو جد محتاج إليه من الدرامات بأنواعها ...

وبعد ، فلنكن صرحاء في تمليل عقمنا في الإنتاج المسرحي : هذا العقم الذي يضع أدبنا في مؤخرة آداب العالم بالرغم من تقدم فن القصة المصرية الذي لا يسع النصف إلا أن يعترف به فأول أسباب ذلك العقم هو تأخر الترجمة في مصر ، وضآلة النقل الفني المسرحي ، إن لم تقل انعدامه ... وبحار الإنسان على من تقع جريرة تأخر الترجمة وضآلة النقل الفني المسرحي ؟ أ تقع جريرة ذلك على الأدباء المصريين ذوي الثقافة الأجنبية والبصر بمختلف آداب العالم أم تقع على كلية الآداب المصرية ؟ أم تقع على وزارة المعارف العمومية وإدارة الترجمة بها ؟ أم تقع على دور النشر ولجان الترجمة والتأليف ؟ أم تقع على أغنيائنا الذين يصمون آذانهم عن الحركات الأدبية في مصر ؟ أم تقع على أمراءنا الذين لا يشملون بالرعاية ( مساكين الأدباء ) كما كان يصنع أمراء أوروبا في عصر النهضة ؟

١ - على من تقع جريرة تأخر الترجمة في مصر ؟ لا جرم أن شطراً كبيراً من تلك الجريرة يقع على عاتق الأدباء المصريين الذين لهم دراية كاملة بالتيارات الأدبية الحديثة في العالم كله ... فأولئك الأدباء - وهم كثيرون جداً والحمد لله - يملون مما دوسوا من آداب الأمم المختلفة أنها لا بد لتكمل نهضة

إلى التساؤل عما يمنع هؤلاء الأدباء الكبار من الترجمة ؟  
إلى أجهلهم عن أن يكون ما يحول بينهم وبين ذلك هو الكسل ،  
أو التعامل بالعوامل المثبطة التي سنتناولها فيما بعد .

٢ أما نصيب كلية الآداب من جريرة تأخر الترجمة  
في مصر فهو كبير بلا شك ، وإن كان في رأيي في المرتبة الثالثة  
أو الرابعة بعد نصيب الكبار من أدبائنا . فخرىجو كلية الآداب  
ولا سيما خرىجو أقسام اللغات الأجنبية . ما زالون قلة في مشفى  
هذه الأمة ، ولست أريد أن أنتقص من أقدار هؤلاء الخرىجين  
حين أقرر أن معظمهم ضماف أشد الضماف في اللغة العربية ،  
وأن كثيرين منهم - إن لم يكن أكثرهم - ينصرفون عن  
القراءة وإدمان المطالعة والاتصال بما أخرجته المطابع الأوربية ،  
وما تزال تخرجه من روائع الأدب ، والأدب المسرحى بوجه  
خاص . على أن كثيرين من هؤلاء الخرىجين يجيدون أكثر من  
لغة أجنبية ، كما يجيدون العربية إجادة تامة ، فإذا يمنع هؤلاء  
من النقل المسرحى إلى اللغة العربية ؟ إنهم أعرف من جمهور  
القراء بما تقوله هنا عن المسرح والأدب المسرحى ، فهل الذى  
يحول بينهم وبين هذا العمل هو نفسه ما يحول بين كبار الأدباء  
في مصر وبين المسرح والدرامة المسرحية ؟ على أننا نفى من ذلك  
هيئة خرىجى قسم اللغة الإنجليزية التى تنفى عن نفسها مهمة  
الكسل بما تقدمه لنا أحياناً من إذاعات تخطيطية جيدة وإن تكن  
مقتضية ...

٣ - أما جريرة وزارة المعارف في تأخر الترجمة فهى بلا شك  
أعظم شأنًا من جريرة كبار الأدباء ومن جريرة كلية الآداب ؛  
ومن المؤلم جداً أن يكون ذلك كذلك ، وفى وزارة المعارف  
إدارة للترجمة يرأسها مدير مجد صبور على العمل ، ويشرف عليها  
رجل ارتبطت به نهضتنا الأدبية الحديثة إلى حد بعيد ، وكان  
من حسن حظ هذه النهضة أن يتزعمها من نحو عشرين عاماً ...  
ذلك هو عميد الأدب العربى ، ومؤلف «مستقبل الثقافة في مصر»  
ومستشار وزارة المعارف الفنى . وقد يخيل لى أن الكلام هنا  
لا بد أن يكون شائكاً لأنه يتناول الإدارة التى أحمل فيها منذ

أدبية في مدارج ارتقامها الأولى من لفتح أجنبي تستفيد به ،  
ويتير لها السبيل إلى الكمال ، ويوقها الوقوع في التجارب  
الفاشلة التى سرت بها الأمم الأخرى - وهم يهملون كذلك أن  
الأمة التى لا مسرح لها لا أدب لها ، مهما كثر عندها  
كتاب المقالات ومؤرخو الأدب العربى وناظمو القصائد  
والوشحات ، فالسرح اليوم عند جميع الأمم ، وكما كان في معظم  
العصور ، هو المظهر الأول من مظاهر النشاط الأولى عند  
أى شعب من الشعوب ، وقد أسلفنا القول في كلمة سابقة أن  
نصف ، أو ثلاثة أرباع الآداب العالمية هو أدب مسرحى صرف .  
فإذا كان الأمر كذلك ، فإلى متى ياترى نظل بأدبنا الحديث  
في مؤخرة آداب العالم ؟ . . . ليس معقولاً ولا مقبولاً أن  
يمازى أحد في قيمة المسرح ومساهمته بالتربية الشعبية ، وبمجرد  
المباراة في ذلك ضرب من الجنون أو النقص الذهنى لا يليق بأمة  
ناهضة طامحة إلى الكمال ... فلماذا لا يترجم كبار كتابنا مع  
ما لهم من الإلمام باللغات الأجنبية ؟ ... إن الذى له دراية بأية  
لغة أوربية من اللغات الكبيرة يستطيع أن يقرأ روائع الآداب  
العالمية منقولة إلى تلك اللغة تفلًا يشبه الأصل إن لم يفقه جمالاً  
وروعة ... فمتى يستطيع الفارى العربى الاطلاع على روائع  
آداب العالم منقولة إلى اللغة العربية ؟ متى يستطيع أدباء الأزهر  
وطلاب العلوم وطلاب الثقافة العامة من جمهور القراء الاتصال  
بالأذهان العالمية دون أن يتجشموا نغم اللغات الأجنبية ؟ متى  
يستطيع المسرحيون في مصر الاطلاع على تاريخ المسارح العالمية  
وروائعها وتراجم أبطالها ، ومعظمهم على ما تعرف من الأمية  
والعجز والفقر الأدبى والثقافى ؟ ... ثم ماذا يمنع كبار أدبائنا  
من الترجمة وأنا أعرف منهم أربعين أو خمسين على الأقل يستطيع  
الواحد منهم أن ينقل إلى العربية ثلاث مسرحيات كل عام على  
أن يشتغل بكل يوم ساعة ، فإذا انتهى العام قدموا للفارى  
العربى والمسرح المصرى مائة أو مائة وخمسين من روائع درامات  
العالم . فإذا تكون هذه الثروة الأدبية ياترى ؟ وماذا يكون  
أثرها في خلق النهضة المسرحية وتوجيهها في مصر ؟ ... وأعود

هذا العبء كما يقع عليها كثير من الأعباء وتنا طويلاً ، لأن ظروف الحياة المصرية تقتضى ذلك وتفرضه فرضاً . وإذا كانت وزارة المعارف تمنح الإعانات لكثير من الجماعات والهيئات التي يُشك في نفعها ، فلا أقل من أن تنشئ مكتبة للترجمة على أن يكون عمله منوعاً بمض الشئ ، فينفض ينقل الآثار الأدبية والعلمية والفلسفية الخالدة التي أصبحت تراثاً للإنسانية كلها والتي لا يجوز للغة حية أن تخلو منها . يترجم هذه الآثار لإغناء اللغة نفسها ومنحها ما تحتاج إليه من الرونة ، ولإرضاء الكرامة القومية ... ثم يقول ... وواضح جداً أن هذا المكتب لن يستطيع وحده أن ينفض بهذه الأعباء الثقالة ، فلا بد من تشجيع المترجمين وإغرائهم بالمال ... الخ»

وليس يخامرني شك في أن الدكتور طه هو أقدر الناس في التعليق على هذا الكلام الحماسي عن الترجمة ومكتب الترجمة الآن ، فقد عبر ، عند ما كان يؤلف كتابه ، عن أمان مصر والمصريين وعن حاجة النهضة المصرية إلى هذه الثقافة التي تمتد — أول ما تمتد على شيء — على الترجمة ، وعبر عن حاجة اللغة إلى ما يغنيها حين ينقل إليها من اللغات الأجنبية ويكسبها الرونة اللازمة لها ... ثم هو قد رسم المهام لمكتب الترجمة الذي هو ضرورة الضرورات لمد النهضة واللغة وجهاير الثقفين والقارئ الكاتبين بروائع الآداب العالمية وإن لم يستطع وحده أن يضطلع بهذا العمل ... وها هي الأيام قد دارت ووقع اختيار الدولة على الأستاذ الدكتور ليكون مستشارها الفني في تطبيق برنامج الحافل الذي رسمه في كتابه الجليل ... والدولة — والله المحمود — سخية أعظم السخاء على جميع المشروعات الحيوية هذه الأيام ، وقد بلغت ميزانيتها من الضخامة هذا العام مبلغاً لم تعرفه من قبل ، فإذا صنع الدكتور لمكتب الترجمة ؟ هل نال هذا المكتب بعض ما تناله قفطرة أو مصرف أو تطهير ترعة أو مدرسة إلزامية ولا أقول ابتدائية أو ثانوية ؟ وهل أصبح هذا المكتب — الذي هو ضرورة الضرورات لهضنتنا الثقافية — من الأشياء التي لا تفكر فيها إلا ذلك التفكير الخلفي ؟ وبهذه

عهد قروب ، ولذلك أعتذر مقدماً عن صراحتي التي جرت على كل مصائبي في هذه الحياة ، لأنني إن لم أكن صريحاً في الكلام عن هذه الإدارة فإذا أكون ؟ إن إلقاء الكلام لم يكن قط من سجايبي ، وإن كان — قبجه الله — من أحسن فضائل العصر الحديث ! وقبل أن أخوض في نقد المتوال الذي تسير عليه إدارتنا المحترمة أقول للقراء ما يأتي من كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » الذي ألفه الدكتور طه حسين بك . قال حضرته في الفصل الثالث والخمسين ( ج ٢ - ص ٤٩٦ وما بعدها ) : « وفي حياتنا العقلية تقصير معيب يصيبنا منه كثير من الخزي كما يصيبنا كثير من الجهل وما يستتبعه الجهل من الشر . ولا بد من إصلاحه إن كنا نريد أن ننصح لأنفسنا ونعيش عيشة الأمم الراقية . وإن كنا نريد أن ننصح للعالم نفسه ونشارك في تربيته وتنميته . وإن كنا نريد أن ننصح للشعب فنخرجه من الجهل إلى المعرفة ، ومن الخمود والجود إلى النشاط والإنتاج . ومظهر هذا التقصير الخزي إهمالنا الشنيع للترجمة والنقل عن اللغات الأوروبية الحية ... إلى أن يقول ... ونحن من غير شك أقل الأمم حظاً من الترجمة ، وأقلها علماً لا أقول بدقائق الحياة العقلية الأوربية بل أقول بأيسر مظاهرها ... وينشأ عن هذا أننا لا نترجم ؛ وكيف نترجم إذا كنا لا نقرأ ؟ وكيف نقرأ إذا كنا لم نتقف هذه الثقافة التي تجعل القراءة جزءاً مقوماً لحياتنا اليومية ؟ وينشأ عن هذا خطر عظيم جداً وهو أنه القارئ الكاتبين منا على قلتهم يجهلون الحضارة الحديثة جهلاً تاماً ، لأن كثرة هؤلاء القارئ الكاتبين يجهلون اللغات الأجنبية جهلاً تاماً ، ولأننا لا نترجم لها إلى اللغة العربية ما لا نستطيع أن نقرأه في اللغات الأجنبية ... ثم يقول ... وقد قلنا غير مرة في غير هذا الحديث أن من غير المقبول أن تكلف كثرة القارئ الكاتبين في أمة من الأمم إتقان اللغات الأجنبية ؛ فلا بد من أن تنتقل لها خلاصة هذه اللغات إلى لغتها العربية . ذلك حق لها على الدولة ، وهو حق لها على المثقفين القادرين على الترجمة ... إلى أن يقول : فلتترجم إذن ولنكثر من الترجمة ، ولنبدل في ذلك أقصى ما نملك من الجهد وأكثر ما نستطيع من المال . وعلى الدولة السكينة يقع